@ 214 @ متعلقة بتنزيل ويجوز أن يكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف . وفي قوله { مّمّ َنْ خَ َلَ َق } تفخيم وتعظيم لشأن القرآن إذ هو منسوب تنزيله إلى من هذه أفعاله وصفاته ، وتحقير لمعبوداتهم وتعريض للنفوس على الفكر والنظر وكأن في قوله { مّمّ َنْ خَ َلَ َق } التفات إذ فيها الخروج من ضمير التكلم وهو في ما أنزلناه إلى الغيبة وفيه عادة التفنن في الكلام وهو مما يحسن إذ لا يبقى على نظام واحد وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم بإسناد الإنزال إلى ضمير الواحد المعظم نفسه ، ثم إسناده إلى من اختص بصفات العظمة التي لم يشركه فيها أحد فحصل التعظيم من الوجهين . .

وقال الزمخشري ويجوز أن يكون { أَ َنزَ َلْ َنَا } حكاية لكلام جبريل عليه السلام والملائكة النازلين معه انتهى . وهذا تجويز بعيد بل الظاهر أنه إخبار من ا تعالى عن نفسه . و { الْ َعُ َلَ َى } جمع العليا ووصف { السّ َمَ َاوَ َاتِ } بالعُ َلَ َى دليل على عظم قدرة من اخترعها إذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى ، والظاهر رفع { الرّ َحْ َمَ َانُ } على خبر مبتدأ محذوف تقديره هو { الرّ َحْ َمَ َانُ } . وقال ابن عطية : ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير المستتر في { خُ َلِ َقَ } انتهى . وأرى أن مثل هذا لا يجوز لأن البدل يحل محل المبدل منه ، و { الرّ َحْ َمَ َانُ } لا يمكن أن يحل محل الضمير لأن الضمير عائد على من الموصولة و { خُ َلِ َقَ } صلة ، والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط . وأجاز الزمخشري أن يكون رفع { الرّ َحْ َمَ َانُ } على الابتداء قال يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى من خلق . وروى جناح بن حبيش عن بعضهم أنه قرأ الرحمن بالكسر . قال الزمخشري : صفة لمن خلق يعني لمن الموصولة ومذهب الكوفيين أن الاسماء النواقص التي لا تتم إلاّ بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها إلاّ الذي والتي فيجوز نعتهما ، فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون { الرّ َحْ َمَ َانُ } صفة لمن فالأحسن أن يكون { الرّ َحْ َمَ َانُ } بدلاً من من ، وقد جرى { الرّ َحْ َمَ َانُ } في القرآن مجرى العلم في ولايته العوامل . وعلى قراءة الجر يكون التقدير هو { عَ َلَ َى الْ َعَ َرْ شِ اسْ تَ َوَ َى } وعلى قراءة الرفع إن كان بدلاً كما ذهب إليه ابن عطية فكذلك أو مبتدأ كما ذكره الزمخشري ففي موضع الخبر أو خبر مبتدأ كما هو الظاهر ، فكيون { الرّ َحْ َمَ َانُ } والجملة خبرين عن هو المضمر . وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الأعراف . .

وما روي عن ابن عباس من الوقف على قوله { عَ َلَ َى الْ َعَ َرْ شِ } ثم يقرأ { اسْ تَ َوَ َى * لّ َهُ مَ َا فِ ي السّ َمَ َاوَ َاتِ } على أن يكون فاعلاً لاستوى لا يصح إن شاء ا . .

ولما ذكر تعالى أنه اخترع السموات والأرض وأنه استوى على العرش ذكر أنه تعالى { لَهُ } ملك جميع { مَا } حوت { السَّمَاوَاتِ وَالاْرْضَ * وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } أي تحت الأرض السابعة قاله ابن عباس ومحمد بن كعب . وعن السدّي : هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة . وقيل : { مَا * تَحْتَ الثَّرَى } ما هو في باطن الأرض فيكون ذلك توكيداً لقوله { وَمَا فِى الاْرْضِ } إلاّ إن كان المراد بفي الأرض ما هو عليها فلا يكون توكيداً . وقيل : المعنى أن علمه تعالى محيط بجميع ذلك لأنه منشئه فعلى هذا يكون التقدير { لَهُ } علم { مَا فِي السَّمَاوَاتِ } . .

ولما ذكر تعالى أولاً إنشاء السموات والأرض وذكر أن جميع ذلك وما فيهما ملكه ذكر تعالى صفة العلم وأن علمه لا يغيب عنه شيء والخطاب بقوله : { وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ } للرسول ظاهر أو المراد أمته ، ولما كان خطاب الناس لا يتأتى إلاّ بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لأن علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر ، أي إذا كان يعلم السر فأحرى أن يعلم الجهر والسر مقابل للجهر كما قال { يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ } والظاهر أن { أُخْفِىَ } أفعل تفضيل أي { وَأَخْفَى } من السر . .

قال ابن عباس : { السِّرَّ } ما تسره إلى غيرك ، والأخفى ما تخفيه في نفسك وقاله الفراء . وعن ابن عباس أيضاً { السِّرَّ } ما أسره في نفسه ، والأخفى ما خفي عنه مما هو فاعله وهو لا يعلمه . وعن قتادة : قريب من هذا . وقال مجاهد : { السِّرَّ } ما تخفيه من الناس { وَأَخْفَى } منه الوسوسة . وقال ابن زيد { السِّرَّ } سر الخلائق { وَأَخْفَى } منه سره تعالى وأنكر ذلك الطبري . وقيل : { السِّرَّ } العزيمة { وَأَخْفَى } منه ما لم يخطر على